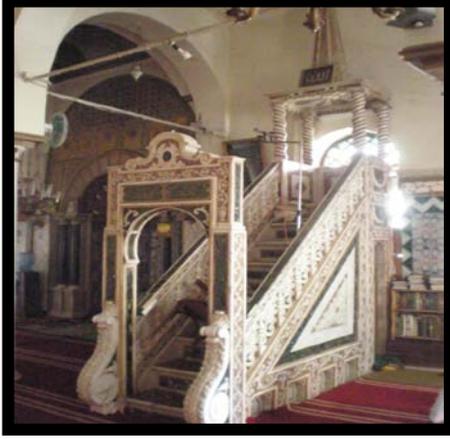


المنبر في العمارة الإسلامية

د. ذيب بديرينتا جامعة الجلفة

تفنن المسلمون في صنع المنابر وأبدعوا فيها حتى كانت المنابر إحدى المجالات التي أظهرت تذوقهم الجمالي وقدرتهم على الإبداع بكل قوة، و تاريخ المنابر يشهد أنها بدأت بداية بسيطة جداً ومتواضعة جداً... إلا أنها لم تلبث أن انطلقت سريعاً)



مع عصر المساجد الكبرى في المدن الرئيسية) حتى غدت عنصراً بارزاً من عناصر المسجد أينما كان، بل ومحط إعجاب الدارسين لعناصره، المتتبعين لفن العمارة الإسلامية .

و المنابر لم تعد أماكن للحديث والخطابة فقط... بل تعددت وظائفها الأولية إلى مدى أبعد... فقد أصبحت مظهراً من مظاهر السيادة والقيادة وعلامة من علامات الغنى والذوق والمقام الرفيع السامي الذي لا يتعلق به إلا أهل العلم والذكر .

من الملاحظ أن المؤرخين اختلفوا في كلمة (منبر)

صورة رقم (01): منبر رخامي

هل هي دخيلة على اللغة العربية من جهة الحبشة ثم عبرت واستعملها العرب؟

أم إنها عربية أصيلة مشتقة من " نبر"؟. فابن منظور يعرف المنبر بأنه " مرقاة الخاطب، وسمي منبراً لارتفاعه وعلوه وانتهى الأمير: ارتفع فوق المنبر" واللفظ غير قرآني على أية حال، فلا وجود له في الكتاب الكريم¹.

و قال البعض إن المنبر كلمة حبشية أصلها (ونبر) أي كرسي قلبت الواو فيها عند العرب ميماً، و قال البعض الآخر إن كلمة منبر تطلق عند الأحباش على أي مقعد كان، و انتقلت الكلمة منهم إلى العرب بشكلها الأصلي، و لا غرابة في ذلك فقد كان بلال مؤذن الرسول (صلى الله عليه و سلم) حبشياً، و كانت زوجته أم سلمة ممن هاجرن إلى الحبشة قبل الهجرة، إذ أن أهل مكة كانت لهم صلات تجارية كبيرة مع الحبشة عبر مينائها مصوع، و بذلك عرفت المنابر الحبشية في المساجد منذ عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما عمل له منبر من ثلاث درجات في مسجده بالمدينة².

والمنبر كما يعرفه البعض الآخر: هو منصة من حجر أو خشب تتسع لوقوف وجولوس خطيب الجمعة وتقع قرب المحراب تعلوها قبة أو جوسق³ .

و يرى الدكتور حسين مؤنس أن المنبر مفهوم يغلب أنه دخل لغة قريش من لهجة اليمن عن طريق الجماعة المسيحية في نجران⁴ .

وعلى القول الأول فإنها في الحبشة كانت أصلاً (ونبر) بمعنى كرسي أو سدة كبيرة لكرسي الملك أو رئيس الديوان. ثم حولت الواو إلى ميم فأصبحت (منبر) وهي لا تزال مستعملة في لغة الأحباش إلى يومنا هذا⁵ .

أقسام المنبر:

تشتمل جل الجوامع على منابر تلقى منها خطبة الجمعة ، وتقع المنابر يمين المحراب على مساحة لا تبعد عنه بأكثر من 1م إلى 1.5 م . والمشهور عن المنابر في المغرب والأندلس أنها مصنوعة من مادة الخشب وتتكون في العموم من أربعة عناصر :

- الواجهة : وتحتوي قائمين يحصران عقدا حدويا يعلوه إطار أو شريط كتابي أو بدونه وينتهي بطنّف. وكثيرا ما تزخر واجهات المنابر بزخارف متنوعة .



صورة رقم (02): واجهة المنبر

- الدرج الصاعد : ويتصل بباب الواجهة ويصعد على
- درجاته إلى جلسة الخطيب
- وذلك عبر حاجزين واقيين.
- الريشتان : تحصران الدرج الصاعد وتتخذان شكلا قائم
- الزاوية في مؤخرته وتكسى الريشتان كليا أو جزئيا بزخارف
- متنوعة
- جلسة الخطيب : تتصل بالدرج الصاعد وبالريشتين
- في الخلفية بميكل مكعب مستطيل الشكل عمودي

قائم كقاعدة للجلسة ومرتفع ، تفتح فيه باب تخترقه للمرور منها لجهتي المنبر دون الانعطاف من الواجهة ، وتعلو هذه القاعدة جلسة الخطيب التي يعلوها قبية خشبية ، أو سقف مسطح متناسب وحجم المنبر .

أول المنابر في الإسلام:

كان عليه الصلاة والسلام إذا قام يوم الجمعة خطيباً وقف مستنداً إلى جذع من جذوع النخل التي تحمل سقف المسجد، وهو مما يلي القبلة، ويتوجه بالكلام مقبلاً على المصلين معتمداً على عصا يمسكها بيده⁶، واستمر إلى هكذا إلى السنة السابعة بعد الهجرة⁷.

وقد اتفقت كلمة رجال السيرة على أن المنبر الأول المصنوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان من خشب وأنه كان مؤلفاً من درجتين فوقهما ثالثة للقعود⁸. جاء في صحيح البخاري عن ابن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل : يا رسول الله ألا تجعل لك منبرا ؟ قال : إن شئتم، فجعلوا له منبرا⁹. ويقال أنه قد صنعه نجار رومي يدعى (باقوم أو باقول)¹⁰، ولا تعارض بين هذا الحديث وأحاديث أخرى أشارت إلى آخرين عملوا المنبر، فلعل المنبر الأول لم يستقم طويلاً فقد أشير في بعض الروايات إلى أن المنبر صنع سنة ثمان للهجرة على يد غلام آخر، وباقتراح العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بإشارة تميم الداري بعد أن رأى منابر الكنائس في الشام¹¹، ولعل بعض المنافقين غمز في حينه من شأن المنبر الذي لم يكن معروفاً من قبل للعرب. فرد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: إن اتخذ منبراً فقد أخذني إبراهيم صلى الله عليه وسلم، وإن اتخذ عصا فقد اتخذها أبي إبراهيم صلى الله عليه وسلم¹².

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ المنبر (بعد صنعه) أحياناً لتعليم الناس هيئة الصلاة، فقد ذكرت الأحاديث أنه لما وضع المنبر جلس عليه أول مرة وكبر، فكبر الناس خلفه، ثم ركع وهو على المنبر، ثم رفع فنزل القهقري فسجد في أصل المنبر ثم عاد حتى فرغ من صلاته... ثم قال: (أيها الناس إني صنعت هذا لتأتموا بي ولتتعلموا صلاتي...) ¹³.

وهنا يجب أن نشير إلى بعض أقوال المؤرخين المستشرقين في ترجيح رأيهم أن المنبر بمثابة صفة العرش وعلى حد قولهم أن محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يتخذ منبرا إلا بعد ما أصبح رجلاً عظيماً يستقبل السفارات بصفة مستمرة من جميع الجهات وأبو بكر (رضي الله عنه) خليفته يتلقى فروض الطاعة، وسار الولاية فيما بعد على نفس المنوال، فكانوا يرتقون المنبر عند حصولهم على منصب جديد في أحد الأقطار المفتوحة، وأنه مجرد موضع يجلس عليه النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه في المواسم والأعياد، وبذلك كان نوعاً من العرش المرتفع¹⁴.



يشير قولفان Golvin بأن هذا المنبر يتركب من ستة أدرج، وهو مخالف لمنبر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي منخفضاً فهو لا يشبهه¹⁵ .

ويتفق كل من قولفان و بوركاراد على أن المنبر اتخذ عدة وظائف مختلفة من عهد إلى آخر، ففي وسلم ارتبط المنبر بالسلطة الروحية أو الدينية ، أما في عهد الخلفاء فقد استعمل في السلطة الزمنية¹⁶ .

ولكن هناك رأي آخر يتزعمه الباحثين العرب، نذكر منهم فريد الشافعي حيث يرى أن مظهر العظمة هي صفة بعيدة كل البعد على أن يوصف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه والمسلمون بوجه عام، قبل تأسيس الدولة الأموية¹⁷ .
في حين يرى عبد العزيز مرزوق بان آراء المستشرقين تتسم بالغلو والبعد عن الحقيقة فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى العرش لكي يستقبل الوفود، وقد كان يستقبلهم أن يصنع له المنبر، وبساطة المنبر على حد وصف المؤرخين لها الحجة الكافية لأن تنفي عنه صفة العرش التي كان يتخذها الملوك قبل الإسلام¹⁸ .
المكانة الدينية للمنبر ودورها والغاية من بنائها :

. المكانة الدينية للمنبر :

إن للمنبر النبوي مكانة عند المسلمين ليس فقط لأنه أول منبر صنع في الإسلام وإنما لأن النبي صلى الله عليه وسلم خصه بأحاديث تؤكد قدسيته وثبت حرمة¹⁹ ، وإذا كانت هذه الأحاديث واردة في فضل منبره صلى الله عليه وسلم فإنها تشير من باب التبعية والإلحاق " ولو على وجه أخف وأقل " إلى فضل المنابر عموماً في المساجد ومنزلتها، لاشتراكها مع المنبر الأول المعظم في الهدف والغاية والاستخدام، فقد روى ابن سعد أنه بعد أن انتهى النجار من صنعه جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقام عليه وقال²⁰ : (منبري هذا على ترعة من ترع * الجنة وقوائم منبري رواتب في الجنة) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال " منبري هذا على ترعة من ترع الجنة " (أخرجه النسائي)، وقال أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنة وقوائم منبري رواتب في الجنة " (أخرجه الحميدي في مسنده)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي " (أخرجه البخاري)²¹ .

وكان الناس إذا أرادوا أن يوثقوا ما تعاقدا عليه بالإيمان المغلظة، جاءوا إلى هذا المنبر وحلفوا عنده لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يحلف أحد عند هذا المنبر أو عند منبري على يمين آثمة ولو على سواك رطب إلا وجمبت له النار)**²² .
- دور المنبر:

لم ينحصر دور المنبر في يوم الجمعة لإلقاء خطبة الجمعة من فوقه، بل كان له دور أوسع وأشمل منذ أيام النبي صلى الله عليه وسلم فقد كانت الخطب الأخرى في المناسبات عموماً تلقى من فوقه... وتلك المناسبات بعضها ديني أو سياسي أو اجتماعي أو حربي، أو غير ذلك.²³

وقد كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطب عديدة غير خطبة الجمعة في أوقات مختلفة.

وأهم دور للمنبر (عدا خطبة الجمعة والعديد) أنه كان في الصدر الأول مكاناً لمبايعة الخلفاء عند توليهم أمور المسلمين، إذ بويع من فوقه الخلفاء الراشدون والأمويون والعباسيون وغيرهم²⁴ .

. الغاية من بناء المنبر:

إن المنبر في المسجد سواء ذلك الذي صنع للنبي صلى الله عليه وسلم مسبقين إلى مثل هذا النموذج في كنائس النصرى أو أنهم لم يكونوا مسبقين فان الغاية من المنبر أبسط من أن يسعى إلى تحقيقها من خلال التقليد و المحاكاة و على هذا فان حرص المستشرقين على القول بأن المسلمين استمدوا فكرة المنبر من الكنيسة المسيحية الشرقية لا يخلوا من رغبتهم في رد تصميم المسجد و عناصره إلى معابد الملل الأخرى²⁵، إلا أن اتخاذ المسلمين للمنابر في مساجدهم هو استجابة لضرورة وظيفته.

. تطور المنابر:

يرجع العديد من الباحثين فكرة عمل المنبر إلى تميم الداري وأن الصانع هو غلام العباس بن عبد المطلب ، وقد وجدت الفكرة من قبل في منصات الخطابة في العمارة اليونانية والرومانية وعلى سبيل المثال منصات الخطابة في الساحات وفي مباني المجالس البرلمانية مثل مبنى مجلس الشعي في مدينة priene بتركيا، مع أن كلمة ambo والتي تطلق على منصات الخطابة في الكنائس مأخوذة من الكلمة اليونانية Anabainien بمعنى الصعود والارتفاع وهي نفس المعنى لكلمة المنبر.²⁶

و من المعروف أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ظل يخطب في هذا المسجد طبقا لما ذكره الطبري و هو متكئ على جذع نخلة مثبت في الأرض حتى السنة السابعة من الهجرة، حيث اختلفت الروايات حول صنع المنبر، فقيل ذكر بن سعد على أنه صنع في السنة 7 هـ ، فهذا لا يتفق مع الروايات الأخرى حيث أن تميم الداري الذي صنع المنبر وهو من أهل فلسطين قدم إلى المدينة المنورة سنة 9 هـ أما بالنسبة لـغلام العباس فمن المعروف أن العباس قدم إلى المدينة بعد فتح مكة ، أي في أواخر السنة 8 هـ .²⁷

و قيل إن هذا المنبر كان قد عمل خشب الأثل²⁸ (Teek) الذي جيء به من وادي الغابة ، و أن الذي عمله هو نجار رومي يقال له باقوم أو باقول²⁹، و كان عبارة عن كرسي من ثلاث درجات جلس النبي (صلى الله عليه وسلم) على درجته الثالثة و وضع قدميه على الثانية، ثم جلس أبو بكر من بعده على درجته الثانية و وضع قدميه على الأولى إلى أن جاء عمر فجلس على درجته الأولى و وضع قدميه على الأرض، و قيل إنه كان قد اتخذ أولا من طين قبل أن يتخذ من الخشب و قيل أيضا إن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يتخذ هذا المنبر إلا بعد أن استقرت رسالته و اتخذ مقرا لدولته كانت السفارات المختلفة ترد عليه من كل صوب، ثم صار خلفاؤه من بعده يتلقون فروض الطاعة و البيعة و هم جلوس على هذا المنبر، و سار الولاية في الأمصار على منوال هؤلاء الخلفاء رضوان الله عليهم حتى كان المنبر نوعا من عرش مرتفع يستخدمه رأس الجماعة الإسلامية في الاجتماعات العامة و المواسم المختلفة كما فعل معاوية بن أبي سفيان عندما اتخذ لنفسه - كما يقول ابن خلدون - منبرا خشبيا متنقلا، و قد اعتاد المسلمون في المغرب أن يجعلوا المنابر الخشبية في مساجدهم متحركة و غير ثابتة حتى لا تقطع صفوف المصلين، و لذلك عملوا لها غرضا خلف جدران القبلة تجر منها وقت الخطبة ثم تعاد إليها من بعدها، و لعل أقدم منبر خشبي باق حتى اليوم في العالم الإسلامي كله هو منبر جامع القيروان الذي يرجع تاريخه إلى القرن (3/9م) .³⁰

ربما كان أول منبر نقل لنا خبره "فيما بعد المنبر الأول" منبر عمرو بن العاص رضي الله عنه الذي بناه في مدينة الفسطاط بعد فتح مصر، و يذكر المقرئزي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن عمرو بن العاص اتخذ في مسجده بفسطاط مصر، وهو المسمى (بتاج الجوامع)³¹، منبرا من خشب، فكتب إليه عمر رقعة قال فيها: أما بحسبك أن تقوم قائما والمسلمون جلوس تحت عقبيك، فعزمت عليك إلا كسرته، فامتثل عمرو لأمر عمر فكسره.³²

وقيل: إن قرّة بن شريك جدد المنبر في جامع عمرو بن العاص بعد ذلك عام 92هـ بأمر الوليد بن عبد الملك.³³ ثم لما كانت ولاية مروان بن محمد سنة 132هـ، أمر واليه على مصر موسى بن نصير اللخمي أن تتخذ المنابر في القرى (أي المدن الكبرى).³⁴

وكما كان الحال في مصر، فقد بدأت المنابر تدخل المساجد وتتخذ فيها في العهود المبكرة الأولى للأُمويين في الشام والعراق والحجاز، فقد كان الحجاج بن يوسف الثقفي يخطب على منبر الكوفة، وكان معاوية بن أبي سفيان منبر في الشام حمله معه إلى مكة فكان أول من خطب على المنبر بجوار الكعبة المشرفة.³⁵

. أنواع المنابر وتعددتها :

. أنواع المنابر :

تنقسم المنابر من حيث مادة صنعائها إلى: منابر خشبية، ومنابر حجرية أو رخامية كما تنقسم من حيث ثباتها وحركتها و من حيث أشكالها إلى: منابر ثابتة و منابر متحركة ومنابر قديمة تقليدية .

أ/ المنابر الخشبية :

الخشب هو المادة الأولى التي صنع منها المنبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم درج الناس على ذلك، إلا أنهم مع تطور الحياة وتعقدتها واهتمام الناس بالمظاهر والزخرفة، وبناءهم المساجد الفخمة المكلفة للأموال الكثيرة، وتفننهم في كل شيء فيها فقد برز اهتمام الصناع بمنابر الخشب، مما حدا بهم إلى اختيار أنواع خاصة من الخشب المعمر أو النقيس، كالأبنوس والجنديل و الجوز والزان وغير ذلك من أنواع الخشب القوي الفاخر³⁶، كما درجوا على تطعيم بعض المنابر بقطع من الفسيفساء والعود، أو القيام بحفر بعض الآيات أو الأحاديث وأسماء الولاة والسلطين وأسماء صناع المنابر وتاريخها عليها، وتزيينها وزخرفتها بالزخارف الإسلامية المعروفة، كالنجوم المتعددة الأضلاع، أو الخطوط العربية الشهيرة، أو نحو ذلك من فنون الأرابيسك³⁷.

ب/ المنابر الحجرية أو الرخامية :

وهي منابر بدأت بالظهور بشكل عام في عهد المماليك ثم في أيام العثمانيين ولئن كان الحجر أقسى من الخشب إلا أن يد المعمار المسلم لم تعجز عن تطويعه لمبدأ الاهتمام بالمنابر وزخرفتها وتزيينها والكتابة عليها، بل أبدعت في ذلك إبداعات فائقة لم تسبق إليها، حتى غدا الحجر ناطقاً بقدرة بانيه على التعبير عن أعلى درجات المشاعر والتعظيم لمقام منابر الجمعة.³⁸

ج / المنابر المتحركة :

الغالب في المنابر أن تكون ثابتة، سواء كانت خشبية أم حجرية، وأنها توضع غالباً بجوار المحراب على يمين المتجه إليه... إلا أننا رأينا بعض المنابر (على قلة) لم تكن ثابتة، بل لكي لا تشغل حيزاً من المسجد يقطع الصف الأول أو الثاني، فقد صممت لتلك المنابر عجلات تدفع فوقها لتوضع بعد الخطبة في غرف خاصة بها في جوار القبلة، إلى أن تخرج ثانية لخطبة الجمعة التالية وهكذا³⁹.

وأول من استعملوا هذه الطريقة هم الأندلس وشمال افريقية⁴⁰، ثم انتقلت تلك العادة إلى بعض مساجد مصر. مثل ما وجد في جامع الزيتونة و صفاقس و المنستير ومنبر الجامع الأزهر وغيرها⁴¹.

كما أنه كان في الحرم المكي ولا يزال منبر نقال يوضع مقابل باب الكعبة عند الخطبة، ثم يجرى إلى مكان بعيد، كي لا يعيق الطواف حول الكعبة، والمنبر النقال في مكة حرسها الله قديم جداً، ذكر عن معاوية أنه اصطحب معه منبره من الشام إلى مكة ليخطب عليه، كما ذكر ابن بطوطة أنه رأى المنبر النقال في مكة⁴².

د/ المنبر التقليدي:

وهو المنبر ذو المسقط المتعامد على جدار القبلة والصف الأول، الممتد قاطعاً الصفوف بحسب طوله المرتفع فوق رؤوس المصلين، المزود بباب وراه ستارة وبدرج ودرابزين على جانبيه ومجلس للخطيب في آخره العلوي، والذي يعلوه جوسق فوقه قبة صغيرة، وهذه الصورة للمنبر هي الصورة الألية للمنابر عموماً سواء كانت خشبية أم حجرية، وهي الغالبة على المساجد القديمة المبنية في العهود الإسلامية ابتداء من أيام الأمويين إلى ما بعد سقوط الدولة العثمانية⁴³.

- تعدد المنابر وتقاليدته :

أ - تعدد المنابر : من المعهود أن يكون في المسجد الواحد إلا منبر واحد ولكن لا بد لكل قاعدة من استثناء، فقد نقل أبو الفرج ابن الجوزي أنه كان في جامع دار السلطان ببغداد منبران⁴⁴، ولئن كان وجود منبرين في مسجد واحد شاذاً، لأنه لا يعقل أن يقوم عليهما في وقت واحد خطيبان معاً، فإن ذلك لم يمنع من وجود ما يمكن أن نسميه منابر ثانوية، كمنابر للواعظ أقل ارتفاعاً وأناقاة من منبر الخطيب ويستخدم عادة لإلقاء درس في أيام الأسبوع أو قبيل خطبة الجمعة، وربما كان منبر الواعظ متحركاً يمكن حمله وتحويله، وربما كان أشبه ما يكون بكرسي خاص فيه عناية واضحة ووجود مثل هذه المنابر (الصغيرة) معهود في كثير من المساجد بحسب أهمية الدرس أو المدرس أو الواعظ أو فخامة المسجد⁴⁵.

ب - تقاليد المنبر:

تختلف عادات الناس في حياتهم باختلاف أجيالهم وشعوبهم، وبالنسبة للمنبر فقد رافقته بعض التقاليد منذ القديم بعضها انقرض وبعضها لا يزال باقياً.

1 . عدد درجات المنبر بقيت رديحاً طويلاً من الزمن لا تزيد على تسع درجات ابتداء من أيام مروان بن الحكم حين زاد درجات منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تسع، إلا أننا في زمن المنابر الحديثة شهدنا ظهور المنابر التي لا تتقيد بعدد معين في درجات المنبر،..... بل ربما زادت أو نقصت على العرف القديم⁴⁶.

2 . درج خطباء المنابر على حمل سيف أثناء خطبة الجمعة في البلاد التي فتحت عنوة وقسراً، بينما يتوكلون على عصا في البلاد التي فتحت سلماً وعهداً.⁴⁷

3 لم يزل خطباء الجمعة مواظبين على الدعاء بعد خطبة الجمعة لخلفاء المسلمين وسلاطينهم وأسماؤهم وأشخاصهم، حتى أصبح ذلك عرفاً شائعاً دارجاً، بلا علامة من علامات الطاعة والبيعة، فإذا ما قطع خطيب الدعاء لسultan ما دل ذلك على النقمة عليه والاستياء منه، أو حتى الخروج عليه.⁴⁸

. أشهر المنابر و أقدمها :

بعض المنابر قطع فنية نادرة لدقة زخرفتها، أو قدم صنعها، أو جمال شكلها أو نفاسة أخشابها ومعدنها، ومن تلك المنابر الشهيرة التي طار صيتها: منبر جامع قرطبة الذي بناه الحكم المستنصر، واستغرق بناؤه سبع سنين، ووصف بأنه ليس فوق الأرض مثيل له، ومنها منبر المسجد الأقصى الذي أمر بصنعه قبل طرد الصليبيين نور الدين زنكي، وبقي في حلب دام صنعه عشرون سنة، حتى حرر صلاح الدين الأيوبي القدس فحمله إلى المسجد الأقصى ووضعه فيه تحقيقاً لحلم نور الدين المجاهد الكبير وكان آية في الجمال والإتقان، ومنها منبر مسجد السلطان أحمد في تركيا المصنوع من المرمر النفيس، أما أقدم منبر في مساجد مصر فكان بطبيعة الحال هو منبر جامع عمرو بن العاص بالفسطاط، غير أن روايات المؤرخين و الباحثين قد اختلفت فيه كثيراً كما اختلفت رواياتهم فيما يتعلق بمنبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مسجده بالمدينة من قبل، و قيل

إن منشئه كان قد وضعه فيه سنة (21هـ/641م) و أنه ظل في موضعه بالمسجد حتى غيره قرّة بن شريك سنة (94هـ/712م) و وضع منبراً جديداً في مكانه⁴⁹.

و سار الأمر بعد ذلك على وجود منبر خشبي في كل مساجد مصر، مع أن الثابت في هذا الصدد أن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه قد كان قد نهي عمر بن العاص عن ذلك و قال له فيما ذكره المقرئزي : أما يكفيك أن تكون قائماً و المسلمون جلوس تحت عقبيك فكسره، و مع ذلك فإنه لا خلاف – طبقاً لما أشار إليه كل من ابن دقماق و المقرئزي – على أنه كان بمسجد عمر بن العاص بالفسطاط منبر لا يعرف أقدم منه سوى منبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مسجده بالمدينة، غير أن ما أشار إليه كل من هذين المؤرخين قد أنصب على أن هذا المنبر كان لعبد العزيز بن مروان، و أنه حمل إليه من بعض الكنائس المسيحية ثم عادت روايتهما لتقول إن ملك النوبة كان قد أهدها إلى عبد الله بن أبي السرح و بعث به نجاره الذي كان من أهل دندرة، و يدعى بقطر حتى ركبته⁵⁰.

و تلى ذلك منبر جامع ابن طولون، ثم منابر العصرين الفاطمي و الأيوبي و كانت جوانبهما تشتمل على وحدات هندسية مجمعة تزينها زخارف نباتية محفورة ذات تفرعات متداخلة و متشابكة⁵¹، ثم قل استخدام هذه الزخارف النباتية المورقة في منابر العصر المملوكي و حل محلها التطعيم بالسنن و الصدف مع صغر حجم الوحدات المجمعة التي كانت تطعم، واستمر ذلك في العصر العثماني كما حدث في منبر جامع محمد بك أبو الذهب بالأزهر(1188هـ/1773م) و غيره⁵².

و كان المنبر بعد تطوره و اكتماله في العصر المملوكي بالصورة التي نراها عليها اليوم – عبارة عن تحفة خشبية رائعة تتكون من قاعدة مستطيلة تعلوها مجموعة من الأجزاء المختلفة أولها باب مقدم ذو مصراع أو مصراعين من الحشوات الخشبية المجمعة تزينها زخارف نباتية و هندسية مطعمة في أغلب الأحيان بالعظم و العاج و كثيراً ما كان يعلو هذا الباب حشوة كتابية قرآنية أو تأسيسية يتوجها صف من الشرفات المورقة أو المسننة و ثانيها ريشتان أو مجنبتان مثلثتان ذواتي حشوات مجمعة في أطباق نجمية و أجزاء منها تزينها زخارف نباتية و هندسية مطعمة أحياناً و غير مطعمة أحياناً أخرى⁵³، و ثالثها باباً روضة في المؤخرة تزينها نفس الحشوات المطعمة أو غير المطعمة، كثيراً ما كانت تعلوها كتابات إنشائية أو قرآنية، و رابعها جلسة خطيب فوق بابي الروضة يصعد إليها بواسطة سلم داخلي عبارة عن مربع له ثلاث واجهات مفتوحة يعلوها جوسق أو قبة صغيرة يتوجها هلال⁵⁴.

أما المنابر الرخامية فكان أقدم نماذجها هو ما وجد خلال العصر المملوكي البحري في مسجد الحظيري (737هـ/1337م)⁵⁵، و تم نقله إلى متحف الفن الإسلامي، و مسجد آق سنقر (747-748هـ/1346-1347م) و مدرسة السلطان حسن (757-764هـ/1356-1362م)، و إن كان الغالب أن هذين المنبرين الرخاميين كانا قد عملا في العصر العثماني، أولهما أثناء عمارة إبراهيم أغا مستحفظان في مسجد آق سنقر بين عامي (747-748هـ/1346-1347م) و ثانيهما أثناء عمارة حسن أغا في مدرسة السلطان حسن 1082هـ/1671م) كذلك فقد و جدت أمثلة من المنابر الرخامية المشابهة للمنابر الخشبية في منبر قايتباي الذي أمر بعمله بجانبه فرج بن برقوق سنة (888هـ/1483م) و منبر مسجد المير شيخوا العمري الذي عمل سنة (961هـ/1553م)، ثم انعدم بعد ذلك وجود المنابر الرخامية في مساجد العصر المملوكي البرجي حتى عادت مرة ثانية في مساجد العصر العثماني⁵⁶.

أدخل المنبر لأول مرة في المساجد الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين بجوار المحراب إلى يمينه ، واستعمل لأغراض التوعية الدينية والإرشاد والوعظ الديني وفي خطب صلاة الجمعة، وكان يصنع هذا المنبر من أنواع الخشب الجيد، أو من المرمر

والرخام، واستعملت فيه الزخارف الإسلامية، وخطوط الآيات القرآنية، وأقدم مثال للمنابر العربية الإسلامية منبر القيروان في شمال إفريقيا (تونس) الذي صنع في (تكريت) بالعراق ونقل إلى هناك.⁵⁷

وختاماً يمكن أن نقول أن شأن المنبر كان كسائر العناصر المسجدية، تفنن المسلمون في صنعه وأبدعوا منه رواضع تعد بحق من الإنجازات الفنية الراقية، إذ أنه تطور كقطعة من أثاث المسجد، لكنه لم يتطور كجزء من عمارته، أي أن المنابر أصبحت (مع الزمن) مجالاً لفن النجارة ونحت الخشب والحفر فيه، ولكنها لم تندمج في عمارة المسجد، ولهذا ما زالت أوضاع المنابر في المساجد غير منسجمة مع العمارة، فهي تبرز في بيت الصلاة بروزاً شديداً وتحتل منه مساحة كبيرة دون مبرر، حتى في المنابر الممتازة.⁵⁸

وعلى أية حال يجب أن تحتفي هذه المنابر البارزة في بيت الصلاة وأن يجد المعماريون وسيلة لوضع سلمها خلف جدار القبلة، وجعل مكان الخطيب أشبه بشرفة يطل منها على الناس إطلالاً مباشراً وهذا ما نجد نوعاً ما يطابق هذه المواصفات ولو بشكل آخر عن طريق صنع المنابر المتحركة والذي نجده أكثر في المنابر المغربية.

ومنه فالمنبر في المساجد الجامعة كانت له دائماً أهمية دينية وسياسية وإدارية ففي أول الأمر لم يكن هناك منبر إلا في جامع الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، ولم يأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن العاص في اتخاذ منبر في مسجده في القسطنطينية، كأنه كان يرى أن المنبر لا يكون إلا لرئيس الجماعة الإسلامية، وفي أيام عثمان ظهرت منابر الأمصار فأصبح لكل مصر منبر في عاصمته، أما المساجد الأخرى فلا منابر لها.

بعد ذلك أصبح لكل مدينة كبيرة الحق في أن يكون لها مسجد جامع ذو منبر أو مسجد ومنبر، لذلك نجد أن المنبر أصبح رمزاً للمدن الكبرى، هذا لا يمنع من القول بأن كل المساجد الأخرى كانت لها منابر وكانت تصلى فيها الجمعة.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة :

1. أبو عبد الله محمد بن محمد المصطفى الأنصاري ، الإعلام بأحكام زيارة خير الأنام ، مكتبة المسجد النبوي الشريف قسم الإفتاء والإرشاد والبحث والترجمة، المدينة المنورة ، 1429 هـ .
2. سعاد ماهر، مساجد في السيرة النبوية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1987.
3. صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة .
4. طه الولي (الشيخ) ، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1 ، بيروت، 1988 .
5. محمد عبد العزيز مرزوق، كتاب الفن الإسلامي، تاريخه وخصائصه ، مطبعة أسعد ، بغداد، 1965 .
6. فريد الشافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مجلد 1 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970.
7. محمد حسين جودي ، العمارة العربية الإسلامية خصوصياتها وابتكاراتها، ط 1، عمان، 1998.
8. محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار الثقافة ، بيروت-لبنان.
9. محمد غازي رجب ، وظيفة العمارة العربية الإسلامية، استجابة الشكل إلى المضمون الفني العربي الإسلامي، ج1، المداخل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1994 .
10. محمد هنزاع الشهري، عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، دار القاهرة للكتاب، القاهرة .
11. مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية ، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة، منظمة العواصم والمدن الإسلامية 1411 هـ / 1990 م .
12. مؤنس (حسين) ، المساجد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1981.

13. يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990.
14. Golvin (L) ; La mosque, ses origins, sa morphologie, ses diverses fonction, son role dans la vie musulmane, plus specialement en afrique du nord ,I.E.S.I.A , alger , 1960.
15. Titus (Berckhardt) : L'art de L'islam , edition sindbad, paris, 1985.

الهوامش

- ¹ / د. حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1981، ص 82-83 . أنظر : ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق، جمال الدين أبو الفضل محمد، ج5، طبعة بيروت، 1656، ص 189 .
- ² / عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، 2000، ص 302 .
- ³ / عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، عربي فرنسي انجليزي ط1، بيروت، 1988، ص 406 .
- ⁴ / حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، 1981، ص 83 .
- ⁵ / الشيخ طه الولي، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1 ، بيروت، 1988 ، ص 193 .
- ⁶ / الشيخ طه الولي، المرجع السابق، ص 193 .
- ⁷ / نفسه، ص 193 .
- ⁸ / محمد غازي رجب ، وظيفة العمارة العربية الإسلامية، استجابة الشكل إلى المضمون الفن العربي الإسلامي، ج1، المداخل، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1994، ص 131 .
- ⁹ / سعاد ماهر، مساجد في السيرة النبوية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص 76 .
- ¹⁰ / فريد الشافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مجلد 1 ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970، ص 627.
- ¹¹ / محمد هزاع الشهري، عمارة المسجد النبوي منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكي، دار القاهرة للكتاب، القاهرة ، ص77 .
- ¹² / الشيخ طه الولي، المرجع السابق ، ص 194.
- ¹³ / نفسه، ص 193 .
- ¹⁴ / فريد الشافعي، المرجع السابق، ص 627.
- ¹⁵ / Golvin (L) ; La mosque, ses origins, sa morphologie, ses diverses fonction, son role dans la vie musulmane, plus specialement en afrique du nord ,I.E.S.I.A , alger , 1960, p p 74 . 75.
- ¹⁶ / Titus (Berckhardt) : L'art de L'islam , edition sindbad, paris, 1985, p 136.
- ¹⁷ / فريد الشافعي، المرجع سابق ، ص 633 .
- ¹⁸ / عبد العزيز مرزوق، كتاب الفن الإسلامي، تاريخه وخصائصه ، مطبعة أسعد ، بغداد، 1965، ص 43 .
- ¹⁹ / الشيخ طه الولي، المرجع السابق ، ص 194 .
- ²⁰ / نفسه، ص 194 .
- ²¹ / أبو عبد الله محمد بن محمد المصطفى الأنصاري ، الإعلام بأحكام زيارة خير الأنام ، مكتبة المسجد النبوي الشريف قسم الإفتاء والإرشاد والبحث والترجمة، المدينة المنورة ، 1429 هـ .
- * ترعة : أي باب من أبواب الجنة .

** حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا ابن نمير حدثنا هاشم بن هاشم أخبرني عبد الله بن نسطاس من آل كثير بن الصلت أنه سمع جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخلف أحد عند منبري هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلا تبوأ

مقعده من النار أو وجبت له النار

- 22 / الشيخ طه الولي، المرجع السابق، ص 194 .
- 23 / محمد هزاع الشهري، المرجع السابق، ص 73 . أنظر حسين مؤنس ، المرجع السابق، ص 87 .
- 24 / الشيخ طه الولي، المرجع السابق، ص 207 .
- 25 / نفسه، ص 206 .
- 26 / مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية ، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة، منظمة العواصم والمدن الإسلامية ، 1411 هـ / 1990 م، ص 435 .
- 27 / سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ص 76 .
- 28 / يحيى وزيرى، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1990، ص 67 .
- 29 / فريد الشافعي ، المرجع السابق، ص 633.
- 30 / محمد حسين جودي ، العمارة العربية الإسلامية خصوصياتها وابتكاراتها، ط 1، عمان، 1998، ص 78 .
- 31 / الشيخ طه الولي، المرجع السابق، ص 196 .
- 32 / نفسه، ص 196 .
- 33 / نفسه، ص 197 .
- 34 / الشيخ طه الولي، المرجع السابق، ص 197، 198 .
- 35 / الشيخ طه الولي، المرجع السابق، ص 198 .
- 36 / صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر، ط 1، دار النهضة العربية للطباعة ، ص 45
- 37 / عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 303، 304 .
- 38 / نفسه، ص 304 . أنظر د. محمد حسين جودي، المرجع السابق، ص 78 . ويحيى وزيرى، المرجع السابق، ص 27 .
- 39 / عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص 406 . أنظر . مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مركز إحياء تراث العمارة الإسلامية ، ص 435 .
- 40 / محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب و الأندلس، دار الثقافة ، بيروت-لبنان، ص 156 .
- 41 / الشيخ طه الولي، المرجع السابق، ص 200 .
- 42 / عاصم محمد رزق ، المرجع السابق، ص 303 .
- 43 / الشيخ طه الولي، المرجع السابق، ص 202 .
- 44 / الشيخ طه الولي، المرجع السابق ، ص 199 .
- 45 / نفسه، ص 199 .
- 46 / الشيخ طه الولي، المرجع السابق ، ص 198 .
- 47 / نفسه، ص ص 204/205 .
- 48 / عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 302 .
- 49 / شيخ طه الولي، المرجع السابق، ص ص 196/197

-
- 50 / نفسه، ص 197 .
- 51 / صالح لمعي مصطفى، المرجع السابق، ص 45 .
- 52 / نفسه، ص 45 .
- 53 / عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 303 .
- 54 / نفسه، ص 304 .
- 55 / يحيى وزيرى، المرجع السابق، ص 27 .
- 56 / عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 304 .
- 57 / محمد حسين جودي، المرجع السابق، ص 78 .
- 58 / حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 86 .